مجلة الدراسات الإسلامية (Al-Dirâsât Al-Islâmiyya) / المجلس الإسلامي الأعلى/ المجلد 23 ع 01.
20/ 10/ 1444 هج. الموافق 10/05/ 2023
ISSN : 1112-4083

محنة الشّيخ صالح بن مهنا القسنطيني الأزهري

The ordeal of Sheikh Saleh bin Muhanna Al-Constantini Al-Azhari

أ. فليغة نورالدينFLIGHA Noureddine dr.flighanoureddine@gmail.com	علوم سياسية	كلية القانون وعلوم السياسة / جامعة باجي مختار عنابة.

الإرسال: 2023/01/15 **القبول**: 2023/03/09 **النشر**: 2023/05/10

****

ملخص:

يعتبر الشيخ صالح بن مهنا من العلماء الجزائريين القلائل الذين درسوا خارج الجزائر أواخر القرن التاسع عشر، وتشبعوا بالفكر الإصلاحي على يد علماء أجلاء في تونس الزيتونة ومصر الأزهر، ثم عادوا ليبلغوا رسالة الإصلاح. ففي الوقت الذي كان الكثير من العلماء يتوجهون إلى خارج الجزائر هروبا من ظروفها القاسية في ظل الاستعمار الفرنسي، فقد ناقض الشيخ صالح بن مهنا هذا التوجه، وأصر على البقاء في الجزائر، مؤديا واجبه إزاء دينه ووطنه، فتعرض لمحن ضارية صبر عليها وواجهها، ورغم ذلك لم تعرف هذه الشخصية اهتمام الباحثين.

هذا المقال يسعى للإسهام في التعريف بهذا العالم، ويركز على المحنة التي تعرض لها.

الكلمات المفتاحية: ابن مهنا؛ الإصلاح؛ الطرقية؛ المحنة؛ الأشراف.

Abstract:

Sheikh Saleh bin Muhanna is considered as one of the few Algerian scholars to have been trained outside Algeria at the end of the 19th century by eminent scholars from Al-Zaytouna in Tunisia and Al-Azhar in Egypt. He returned to Algeria after being impregnated with the reformist thought to transmit this message of reform.

At that time, many scholars left Algeria to escape the difficult conditions of French colonization. In contrast to this exile movement, Sheikh Saleh bin Muhanna voluntarily chose to resist and remain in Algeria in order to fulfil his duty toward to his religion and his country. He was therefore subjected to fierce trials with which he was patient and enduring. Unfortunately, this eminent character has not attracted the interest of researchers and his career remains unknown to the vast majority of people.

This article seeks to contribute to be a recognition towards this scientist by evoking the hard ordeal which he underwent.

Keywords: Bin Muhanna; Reform; Toroqia; The ordeal; Nobles.

****

ISSN : 1112-4083

***-مقدمة:**

أولى الباحثون جهودا معتبرة في رصد وتقييد وتحليل أحداث التاريخ، كما أنهم لم يهملوا جانب الشخصيات التي كان لها دور في تلك الأحداث، فأثروا في مجرياتها. ولعل شخصية الشيخ محمد الصالح بن مهنا القلي القسنطيني الأزهري لم يسعفها الحظ في أخذ مكانتها في هذه البحوث والدراسات، وقد أشار إلى ذلك من تناولوا بالدراسة هذه الشخصية.

ولعل سبب إهمال مثل هذه الشخصية الألمعية وغيرها من الشخصيات يرجع إلى طغيان تيار جارف في التاريخ الجزائري، لم ينظر إلى هذا التاريخ إلا بدءا من الثورة التحريرية سنة1954، وإذا وسع أفقه فلا ينظر إلا إلى الثورات الشعبية المسلحة. فكأن الشعب الجزائري لم يعرف علما ولا ثقافة، وكأن الثوار في تاريخ الجزائر الممتد لم يعرفوا علما، ولم يدخلوا مدرسة، فإذا صادف وأن أشاروا إلى التاريخ الثقافي، فهم ينطلقون من الربع الأول من القرن العشرين.

إن الدارس لتاريخ الجزائر سيلمح زخما علميا وثقافيا، وسيجد علماء ومفتين وقضاة وأدباء وصحفيين عانوا الأمرين في حياتهم وبعد مماتهم، وقد كان الشيخ محمد الصالح بن مهنا أحد ضحايا هذه النظرة.

هذا المقال يسعى إلى إظهار جوانب من حياة هذا العالم وما تعرض له في محنته ذات الشقين الأول في مواجهة الطرقية المنحرفة، والثاني في مواجهة الاستعمار الفرنسي.

المبحث الأول: صالح بن مهنا حياته و آثاره

تتداخل عوامل إهمال بعض الشخصيات التاريخية إلى أن آثارهم قد ضاعت، أو لم تجد من يهتم بها، فيخرجها إلى حيز النور، أو استأثر بها من لا يعرف قيمتها للتاريخ والوطن، لذلك فالمسؤولية - حينئذ- تتضاعف على عاتق الباحثين.

لقد برزت في الجزائر عبر تاريخها أسماء علماء أجلاء، كالشيخ والقاضي المجدد ابن العنابي محمد بن العنابي (1775-1850)، وقد برز بعده مباشرة الشيخ صالح بن مهنا (1840-1910) وفي الفترة نفسها عايشه محمد الديسي (1854-1921). ليبرز في تلك المرحلة علماء أخرون كعبد القادر المجاوي (1848-1913) والذي نشر أفكاره عن طريق المدرسة، فتلقاها تلاميذه كابن أبي شنب (1869-1929)، وابن الموهوب (1866- 1939)، وابن

ISSN : 1112-4083

الخوجة (1865-1915). وقد جاءت بعدهم أسماء أخرى كثيرة كالشيخ حمدان لونيسي (1856- 1920) ومن عايشه وجاء بعده.

ولعل شخصية ابن مهنا هي التي لم تجد من يخرجها من ظلمات النسيان إلى النور، لذلك حق لنا أن نتساءل: من هو هذا العالم؟ وما آثاره؟

المطلب الأول: التعريف بصالح بن مهنا

لقد تنوعت مجالات الدراسات التاريخية حديثا، فتناولت ترجمات العلماء والكتاب، واهتم بعضها الآخر بإبراز أعمالهم وتحليلها، وسار بعضهم الآخر في تتبع تطور التاريخ الثقافي، ومهما تعددت اتجاهات دراسة التاريخ، فلا شك أن لكل اتجاه أهميته في إبراز التاريخ الوطني. ولعل جانب دراسة الشخصيات يفرض التعرض لحياة هذه الشخصية، وآثارها في الميدان الذي برزت فيه، ووسائل عملها، والصعوبات التي اعترضتها.

فصالح بن مهنا هو صالح بن محمد بن محمد بن مهنا القسنطيني القلي الأزهري المالكي الصوفي الأشعري العليشي، (الأزهري، أ، 2019، ص: 85) ولد سنة 1257 هـ- 1840م وهو ما رجحه الأستاذ سليمان الصيد، (الصيد، س، 1983، ص: 27) ودرج الكثير ممن كتبوا عن هذه الشخصية على تخيره، كعادل نويهض(نويهض، ع، 1980، ص: 323)، والأستاذين محمد بن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان، (الغوثي، م، 2011، ص: 167) رغم أن الدكتور عبد الكريم بوصفصاف يذهب إلى أنه ولد سنة 1854، (بوصفصاف، ع، 2002، ص: 126) إلا أن الراجح هو 1840 وذلك بالعودة إلى سنة تخرجه من جامع الزيتونة الذي كان سنة 1955 أو 1856، فلا يعقل أن يكون تخرج منه وعمره سنة واحدة أو سنتين. (بن زنفور، م & عميراوي، أ ، 2021 (ع2)، ص: 265).

وقد سجل "ابن مهنا " نفسه من مواليد قسنطينة في شهر ماي1889، وذلك حسب ما هو مقيد في سجلات الحالة المدنية ببلدية قسنطينة، وفي ذلك الوقت كان قد بلغ من العمر 35 سنة. (الصيد، س، 1983، ص: 27) ينتمي صالح بن مهنا إلى قبيلة بني مهنا التي تسكن منطقة " كركرة" والتي يطلق عليها " العشرة"، وهي المسافة الفاصلة بينها وبين مدينة القل بولاية سكيكدة، وبها ولد. (الغوثي، م، 2011، ص: 167)

ISSN : 1112-4083

وقبيلة بني مهنا من القبائل الشريفة ذات أصول مشرقية. (الأزهري، أ، 2019، ص: 85) ولم تذكر الكتب مرحلة صباه، لكن الثابت أنه درس بمسقط رأسه العلوم الشرعية واللغوية، فقد كانت هذه العلوم متوارثة.

والظاهر أن الشيخ صالح بن مهنا قد نشأ نشأة سوية تؤهله لحمل راية الإصلاح فيما بعد، فقد هاجر مع والده إلى تونس وهو في سن السادسة من عمره، وهناك واصل تعليمه، (بسكر، م، 2015، ص: 185) وكان متأثرا في نشأته الأولى أيما تأثر بشيخه عبد الله الدراجي الذي ألف في سيرته كتابا عنونه" إسعاف الراجي في بعض مآثر عبد الله الدراجي "[*]،هذا الأخير الذي كان شديد الثورة على الظلم، بعيدا عن مداهنة الحكام وتملقهم. هذه الصفات وغيرها طبعت في شخص ابن مهنا اتجاهه الإصلاحي الذي عرف به. يقول عنه:" شيخنا الدراجي - قدّس الله سره- لايزال درسه للبخاري بجامع الزيتونة وبجامع سبحان الله، بتونس يعرّض بالأمير، ويزجر عن الظلم ويبالغ، حتى أنه ربما صرح والجواسيس تنقل ذلك إلى الأمير". (ابن مهنا، 2011، ص: 196).

التحق بجامع الزيتونة المعمور، لما بلغ سنا تسمح له بذلك، وكان له من التحصيل العلمي ما يؤهله لذلك، بغية طلب العلم والاستزادة منه. وقد كانت الجزائر في مرحلة حياة ابن مهنا تمر بفترات عصيبة، إذ لجأت الإدارة الاستعمارية إلى إصدار مجموعة من القوانين والقرارات التعسفية، فإلى جانب قانون كريميو 1870 وقانون وارني 1873 صدر قانون الأهالي، حيث طبق على الجزائريين إجراءات استثنائية، دون غيرهم، فحرموا من حقوقهم كمواطنين، بل جردوا من جميع حقوقهم البشرية، وقد تبع ذلك قانون جونار (1902-1908) وهي قوانين مجحفة، تضمنت حرمان الجزائريين من التجمعات العامة والحج، وطبقت عليهم العقوبات الجماعية. (فلاحي، ر، 2007-2008 (ماجستار)، ص: 16).

ونتيجة لما تعرض له الجزائريون فقد سعى بعضهم إلى الهجرة، وعلى الرغم من أن هجرة الوطن أخذت شكلا مأسويا في حياة الجزائريين، فإن الهجرة خلال هذا القرن كانت بمثابة

[*]- عبد الله بن غانم الدراجي، الهذالي، النجاعي (... -توفي 1296 هـ / ... - 1879م)، فقيه، صوفي، أصله من قبيلة أولاد دراج الضاعنة في الحضنة من أحواز المسيلة. استوطنت عائلته قسنطينة وبها ولد عبد الله ونشأ وتعلم. انتقل الى تونس ومنها إلى المدينة المنورة يبث فيها العلوم الدينية إلى ان مات. له "ارشاد أهل الهمم العلية فيما يطلب منهم من الأدعية النبوية "في نحو سبعة أجزاء، و "اتحاف المريدين بتحقيق رابطتهم بالحضرتين" (الحفناوي، أ، د. س، ص ص: 234، 235).

ISSN : 1112-4083

فرارا من الظلم، وطلبا للعلم، وحفاظا على الهوية العربية الإسلامية، وقد أتاحت بعث روح جديدة في الجزائريين. (فلاحي، ر، 2007-2008 (ماجستار)، ص: 46).

وعلى خلاف ما يذهب إليه بعض الباحثين، (فلاحي، ر، 2007-2008 (ماجستار)، ص: 45). فالهجرة إلى طلب العلم لم تظهر مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، إنما كانت سابقة له، إنما عرفت – في عهده- إطارا منظما في ظل حركته التعليمية، وقد كان الشيخ صالح بن مهنا أبرز المشاهير الزيتونيين الجزائريين في القرن التاسع عشر. (فلاحي، ر، 2007-2008 (ماجستار)، ص: 50).

وإذا كانت المعلومات التاريخية لا تسعفنا في التعرف على تفاصيل إقامة ابن مهنا في تونس، إلا أنها حفظت لنا بعض أقواله المعبرة عن حبه لها يقول عنها:" ولا زلت أحب تونس، وأحب أهلها، وأحب جدرانها، وأحب حتى كلابها لما رأيت فيها من العشر الأواخر من رمضان سنة 1272 هـ". (ابن مهنا، ص، 2011، ص: 317).

كما حفظت لنا شيوخه بجامع الزيتونة المعمور، فأبرزهم: الشيخ الجربي، والشيخ الأديب محمود قبادو الشاعر التونسي المشهور الذي عدت دعوته أساس حركة التجديد الفعلية التي عرفتها تونس، (فلاحي، ر، 2007-2008 (ماجستار)، ص: 33). الشيخ صالح النيفر(1820-1874) وهو مدرس وإمام وقاضي ومفتي الديار التونسية، واسمه الكامل أبو الفلاح صالح النيفر، الشيخ محمد النيفر (1828-1891): قاضي ومفتي الديار التونسية، والشيخ محمد الطاهر المازري، وغيرهم. (الصيد، س، 1983، ص: 43)

وبعد سنوات من تحصيل العلم والمعرفة بجامع الزيتونة، انتقل إلى الجامع الأزهر من أجل متابعة دراسته، فتتلمذ فيه على عدد كبير من المشايخ الفضلاء، والكثير منهم كانوا شيوخا للأزهر حين كان شيخ الأزهر المرجع الأعلى لمن كان فيه من أصغر طالب إلى أكبر عالم، (أبو العيون، م، 1949، ص: 39) كالشيخ إبراهيم الباجوري الأزهري شيخ الأزهر (1198هـ – 1277 هـ) (1784 م– 1864م) (خفاجي، م، ع & علي، ع، ص، 2012، ص: 61)، الشيخ مصطفى العروسي شيخ الجامع الأزهر(1213 هـ – 1293 هـ) (1798 -1876م)، (خفاجي، م، ع & علي، ع، ص، 2012، ص: 70) الشيخ محمد بن أحمد بن عليش (1217 هـ -1299 هـ) - (1802 م- 1882م) وهو فقيه، من أعيان المالكية، مغربي الأصل، من أهل طرابلس الغرب، وكذلك الشيخ حسين بن أحمد المرصفي (1815- 1890)، الشيخ حسين

ISSN : 1112-4083

العدوي الحمزاوي (1806- 1886) وهو فقيه مالكي. ، الشيخ أحمد الأجهوري الضرير (1293 - 1237 هـ) –(1822 - 1876 م) ، الشيخ شمس الدين محمد الأنبابي شيخ الأزهر (1824 - 1896)،كما درس على يدي فقهاء شافعية كالشيخ الرفاعي شيخ مشايخ الشافعية (1274-1340 هـ) – (1857 - 1922م)، وشيخ الأزهر عبد الله الشرقاوي الشافعي (1150هـ - 1227هـ) 1737 م– ....)، الشيخ محمد الأشموني الشافعي(1218 هـ – 1303 هـ) (1803 م – 1888 م)، وغيرهم من أهل العلم والفضل، (الأزهري، أ، 2019، ص: 85) ولا تمدنا المصادر المختلفة بمعلومات كافية حول دراسته في الأزهر، رغم الصعوبات التي يمكننا تصورها في تلك الفترات، وخاصة الظروف التي سافر فيها، ومتى سافر، وفترة إقامته هناك، إضافة إلى عدم علمنا ببعض شيوخه. ولكن ذلك لا يقدح فيمن تعلم عنهم فقد كانوا من أهل العلم والفضل. ولعل أكثرهم أثرا هو الشيخ عليش الذي كان ينتسب إليه.

كما نفتقر إلى المعلومات حول فترة دراسته هناك، هل عاش في مصر زمن" الخديوي إسماعيل "و"جمال الدين الأفغاني "والثورة العُرابية والاحتلال الانجليزي، أو كان قد عاش فيها بعد هاته الفترة. (سعد الله، أ، 1998، ص: 379) كما يشوب الغموض تفسير الظروف التي وظفته فيها السلطات الفرنسية عندما رجع إلى الجزائر، في حين أنّها كانت تشك في كل من درس خارج الجزائر، (سعد الله، أ، 1998، ص: 118) ورغم جهلنا بهذه الأمور إلاّ أن المتفق عليه هو أنّ هذا العالم استطاع نشر العلم والوعي بين الناس رغم وضع البلاد الصعب آنذاك. (لدرع، ك، 2015، ص: 104)

وقد كان لهذا التنوع الكبير من مصادر التعلم، أثره في صياغة شخصية صالح بن مهنا، الذي اختار بعد علم وروية وبعد نظر طريق الإصلاح الذي يحتاجه وطنه، بغية استئناف مسيرة رسالة الإسلام بعيدا عن شوائب الخرافة والجهل.

لما حلت سنة 1887 عاد الشيخ صالح بن مهنا إلى الجزائر، واستقر مدة من الزمن بزاوية الشيخ بلقاسم بو حجر الواقعة بولاية أم البواقي ببلدية سيقوس، (الأزهري، أ، 2019، ص: 85) حيث تزوج هناك وتفرغ للتدريس. وبناء على طلب الشيخ محمود بن محمد الشاذلي من الشيخ علي "شيخ زاوية بو حجر"، فقد توجه صالح بن مهنا إلى قسنطينة، ليشغل منصب إمام الجامع الكبير، الذي بقي فيه عدة سنوات. (الأزهري، أ، 2019، ص: 86)

ISSN : 1112-4083

تفرغ في تلك الفترة للتدريس والإمامة بالجامع الكبير، ثم تولى إلى جانب ذلك مهمة التدريس بالزاوية الحنصالية في قسنطينة، تطوعا في جميع المواد الدراسية، فكان التلاميذ يحضرون لدروسه القيمة والمفيدة. (الصيد، س، 1983، ص: 51) كما عمل على تطوير الكتابة، وقد أدى المهمة على أحسن وجه وأكمله، فكانت مدة تدريسه قرابة الثلاثين عاما. ولم يكتف الشيخ بهذا، إذ لشدة حرصه على نشر العلم اكترى بيتا بالقرب من الزاوية ليتفرغ فيه للتأليف والتدريس، فكان ذلك البيت بمثابة الخلوة العلمية التي يعتزل فيها أصحاب الدنيا.

لقد عرف الشيخ صالح بن مهنا باتجاهه الناقد منذ وقت مبكر، ومن ذلك آراؤه حول انحراف بعض شيوخ الطرق الصوفية، فقاد حملات ضد الذين يجعلون من التصوف شعوذة ووسيلة للاسترزاق، وذهب في هذا الأمر بعيدا في كتبه، فهو يرى أن ثلاثة لا يفلحون، وهم ابن شيخ الطريقة وزوجته وخادمه، وقد نقل ذلك عن الشعراني منسوبا إلى الشيخ محمد بن أبي جمرة. رغم ما يحمله ذلك القول من مخالفة لتوجيهات السنة النبوية. في توجيهه إلى أنه " لا ينبغي للشيخ أن يأكل مع المريد، ولا يجالسه إلا عند ضرورة خوفاً على المريد من سقوط حرمته من قلبه فيحرم بركته من قلبه فيحرم بركة الصحبة فإن نظر الخادم إلى الشيخ بالتعظيم انتفع به كذلك، وأفلح أكثر من غيره رضي الله عنه". (الشعراني، ع، 2005، ص: 285.)

وقد أثار أيضا قضية الأشراف التي كانت منتشرة في وقته، وكان الكثير من الدجالين ينسبون أنفسهم إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-فكان رده في هذه القضية أن الشرف مرده إلى التقوى، مستندا في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13] وكان كثيرا ما يحمل على المشعوذين في كتبه ودروسه، وكانت له جهود محمودة في تعريف أهل المشرق بالمغرب العربي. فحفلت حياته بالجد والاجتهاد والتحصيل والتحدي، والدعوة إلى الإسلام الصحيح النقي من شوائب البدع والمحدثات اعتمادا على القرآن الكريم، وسنة النبي-صلى الله عليه وسلم.

ولعل أسفاره ورحلاته كان لها دور بارز سواء في تلقيه العلم ومخالطة العلماء، أو التعرف على واقع المجتمعات الإسلامية، فزيادة على تونس ومصر حيث زار العديد من مدنهما، فقد قام بزيارة العديد من المدن الليبية في طريق رحلته إلى الأزهر، وأدرك تأثير الحركة

ISSN : 1112-4083

السنوسية. كما زار بيت المقدس وبلاد الشام وكان حريصا على زيارة المدن والتعرف على مآثرها وتدوين ملاحظات حول حالتها، وعند رجوعه ذكر أنّه تاه في الصحراء، غير أننا نجهل سنة ذلك. كما قام بزيارات داخل الجزائر من بينها زيارته لمدينة بسكرة عام 1313 هـ - 1895م، والتي أخبر عن خمول ذكرها بعد أن كانت حاضرة من حواضر العلم. (بيشي، م، ع، 2021 (مج 35 ع02)، ص: 525).

لقد تمكن الشيخ صالح بن مهنا من الثورة على بعض المفاهيم التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري وباقي المجتمعات العربية، مما مكنه من وضع بذور الحركة الإصلاحية في الجزائر.

وبعد حياة ثرية في مجال نشر العلم والإصلاح وعند بلوغه سن السبعين (1328هـ - 1910م) توفي الشيخ صالح بن مهنا بمدينة قسنطينة بداره التي كانت واقعة بنهج قديد صالح (كومب -سابقا رقم 99)، على الساعة الخامسة من صبيحة يوم 11 أفريل سنة 1910 وهو ما يوافق ربيع الثاني عام 1328 هـ، رغم ذهاب بعض الباحثين إلى أنه توفي سنة 1911. (صالحي، م، 2014 (ع22-23)، ص: 379).

وقد شهد على موته أمام بلدية قسنطينة السيدان ابن حمزة الدراجي المقاول، وماضوي مصطفى الخياط. وقد تبع جنازته جمع غفير من الناس، ودفن في مقبرة قسنطينة. (الصيد، س، 1983، ص: 36)

فيكون بذلك قد أدى ما عليه في تلك الفترات الحرجة من تاريخ الجزائر إزاء دينه ووطنه، فكانت حركته في مدينة قسنطينة وما جاورها حركة مباركة، أثمرت بظهور الحركة الإصلاحية التي قادها رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد ذلك، والتي كان مركزها ناحية قسنطينة كلها.

إن حركة الشيخ صالح بن مهنا هي حلقة في سلسلة حركة التجديد الإسلامي في الجزائر التي لاقت كل أشكال التشكيك والمقاومة من قبل المستعمر، وكذلك من بعض الذين ألفوا الاستفادة من الأوضاع المنحرفة في المجتمع الجزائري.

المطلب الثاني: أثار الشيخ صالح بن مهنا

زخرت حياة الشيخ محمد الصالح بن مهنا بالرحلة في طلب العلم وتحمل مشاقه، وبعد رجوعه إلى الجزائر وصل إلى أن يكون إماما بالمسجد الكبير بقسنطية، وهو المنصب الذي

ISSN : 1112-4083

مكنه من اكتساب وظيفة رسمية تريحه من مشاق البحث عن مصادر الرزق، وتجلب له الراحة والأمان، لكنه – تحملا لمسؤولياته- لم يركن إلى الدعة والخمول، بل كانت له أنشطة عدة تحملا لمسؤوليات العالم العامل.

لقد كان الشيخ صالح بن مهنا كثير الكتابة والتأليف، ازدادت كتاباته على الستين مصنفا، نال منها علم الكلام والتصوف الحظ الأوفر. (بسكر،م، 2015، ص: 286) لقد ردّ في رسائله على منتحلي التصوّف خاصة أدعياء الشرف بالانتساب إلى النبوة، وظهر ذلك في حاشيته التي ألّفها على رحلة الشيخ " حسين الورتلاني "والتي انتقدها بعض الشيوخ المنتمين لبعض الطرق. (بسكر،م، 2015، ص: 286) ومؤلفاته منها ما طبع ومنها ما بقي مخطوطا وأهمها: "الدر الأسمى في بيان معاني نظم الأسماء الحسنى"، "السر المعصوم على الجوهر المكنون"،" أقرب الوسائل في الصلاة على النبي وجمع الشمائل"، " تنبيه المغترين على إخوان الشياطين"، " الفتح الرباني في الرد على المهدي المغربي الوزاني"، "مولد النبي-صلى الله عليه وسلم-"، " القول السديد على متن القصيد في علم التوحيد"، " فتح الفتاح القدير بشرح حزب الفلاح والحزب الكبير"، " تكملة مختصر الشيخ عبد الرحمن الاخضري"، " شرح مختصر الأخضري"[*] ، " مختصر الترغيب والترهيب"، "تذكرة من يعيش في بعض مآثر الشيخ عليش"، " شرح قواعد عياض"، "شرح العشماوي"، " 40 حديثا من الموطأ"، "شرح البيقونية"، الرحلة الأزهرية"، " شرح الجوهرة"، "شرح الخريدة، "شرح عقيدة السيوطي"، " شرح ابن عاشر"، "فضائل رمضان"، "فضائل ليلة النصف من شعبان"، " مناسك الحج"، "فضائل عاشوراء"، "إسعاف الراجي في بعض مآثر عبد الله الدراجي"، " شرح الجزائرية الكبير والوسط الصغير"، " زجر الكلاب والرد على مسيلمة الكذاب"، تحقيق الدعوى في الرد على أعداء أهل التقوى"، " فتح الرحمن الرحيم في شرح منظومة نصيحة الإخوان" والذي تضم أوراد الطريقة الحنصالية، وقد ألف بزاوية بلقاسم بوحجر، "الفتوحات الأزهرية في الخطب المنبرية الجمعية"، " مختصر تفسير روح البيان"لإسماعيل حقي البروسي، كتاب في تراجم علماء قسنطينة وفضلائها، وغير ذلك من المؤلفات في الفقه والتوحيد والتفسير والردود على أهل الشبه. كما حقق الطبعة الأولى لرحلة الورتلاني في

[*]- لدي نسخة مخطوطة منه بيد علاوة بن بركات بن باديس الحسني.

ISSN : 1112-4083

مطابع تونس سنة 1321 هـ ورحلة الورتلاني هي كتاب يقع في ثمان مائة وأربع عشرة صفحة من الحجم الكبير بما فيها كلمة المحقق، وترجمة المصنف وكتبت المخطوطة، بخط مغربي جميل، وذات أوراق صفراء. (ناتش، ع، 2022 (مج 13 ع 23)، ص: 116) وقد بذل جهدا كبيرا في ذلك، يقول عنها:" تكلمت فيها عن ثلاثة عشر علما ونقلت فيها من مائة كتاب من كتب الأئمة المشهورة المتداولة بين العلماء والمطبوعة...". (ابن مهنا، ص، 1904، ص: 17).

كما تتلمذ على يدي الشيخ صالح بن مهنا عدد لا يحصى من التلاميذ، نذكر منهم الشيخ رود سلي عبد الكريم بن عمر، والشيخ بهناس المختار بن صالح، الشيخ يوسف بن بروال، والشيخ علي بن اليسري، الشيخ السعيد بهلول الورثلاني، الشيخ محمد بن مسعود حماني والد الشيخ أحمد حماني، الشيخ عبد المجيد بن بريك، (الصيد، س، 1983، ص: 57) وغيرهم ممن سار على درب شيخه في طريق الإصلاح.

المبحث الثاني: محنة الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني الأزهري

كان الشيخ صالح بن مهنا الحامل للواء الإصلاح في وقته متشبعا بثقافة أصيلة، سواء تلك التي بثها فيه أستاذه عبد الله الدراجي أو شيوخه الآخرين في جامع الزيتونة المعمور أو الأزهر الشريف وكذا ما استقاه من العلامة الجزائري الشيخ عبد الرحمن الأخضري، (الصيد، س، 1983، ص: 75) وذلك في وضع متردٍ للمجتمع الجزائري بفعل السياسات الاستعمارية التي سلطت عليه -في الغالب الأعم- فكان منعزلا عن أصوله العربية الإسلامية ثقافة واتصالا، يعاني من ويلات ذلك. هذا إضافة إلى انحراف كثير من الطرق عن أداء أدوارها في نشر العلم الصحيح وتوعية المجتمع، مما أدى إلى نشر ثقافة العزلة والتواكل، والخضوع إلى سلطة روحية منحرفة مهادنة لظلم المستعمر، وفارضة سلطانها الروحي، خدمة لمصالحها ومصالح المستعمر الفرنسي.

لقد كان من المنطقي أن تتحد مصالح الطرفين ضد كل من يسعى لفك قيود الخمول والاستبداد، بنشر تعاليم الدين الصحيح. وكان صالح بن مهنا ضحية تحالف استعماري طرقي منحرف، حد من تأثير دعوته في أوساط الشعب الجزائري. وقد عبر عن ذلك الأستاذ مالك بن نبي عندما كتب في مؤلفه"شروط النهضة" في وصف حركة الشيخ صالح بن مهنا بالمناجاة الضميرية الفردية، لأن صوت مناجاته كاد أن يوقظ أهل قسنطينة كلها حوالي 1898، والحق أنه كان في طليعة المصلحين، إذ أنه قام قومة مباركة ضد الخرافيين

ISSN : 1112-4083

(الدراويش)، غير أن الحكومة الفرنسية الساهرة على الهدوء، عملت على إبعاده، وعاقبته بمصادرة مكتبته الثمينة، وفرقت أمثاله، فحولت مثلا الشيخ المجاوي من مدرسة قسنطينة إلى مدرسة العاصمة. (بن نبي، م، 1986، ص: 23) وقد مثلت محنته قمة الظلم الذي تعرض له، وفي المقابل كان إصراره على الإصلاح منهجه المبين.

المطلب الأول: محنة الشيخ صالح بن مهنا مع الطرقية المنحرفة

كان الشيخ صالح بن مهنا من العلماء العاملين، فقد سلحته – خاصة- دراسته بالزيتونة والأزهر بالفكر النير، وربما اضطر فقط إلى قبول الوظيف من أجل العيش. (سعد الله، أ، 1998، ص: 119) فلم يحل ذلك دون سعيه للجهر برسالة الإصلاح، وصدعه برأيه فيما كان غيره يحجم عن إبداء رأيه فيه، فجعله ذلك سباقا لأداء رسالة الإصلاح. فثباته بعد عودته للجزائر وتوليه رسالة التدريس بمدينة قسنطينة، جعله يصدح برأيه في مواجهة ما قام به أحد شيوخ مدينة قسنطينة المدعو أحمد بن دادا المشهور بأبي الهدى الصيادي، نقيب الأشراف ومستشار السلطان عبد الحميد، (بيشي، م، ع، 2020 (مج 05 ع01)، ص: 104).

والذي تخرج من جامع القرويين بالمغرب الأقصى. لقد ألف رسالة سماها " ضوء الشمس"، بالغ فيه من التنويه بالأشراف، فلما اطلع عليها الشيخ صالح بن مهنا رد عليه، ووضع الأمور في نصابها، وذلك في مؤلفه " تنبيه المغترين في الرد على إخوان الشياطين". ولعل بعض أشعار عاشور الخنقي تشير إلى أن ابن مهنا قد تعرض بالسب لأبي الهدى الصيادي في رده. (سعد الله، أ، 1998، ص: 119)

كما صادف ذلك ظهور الطبعة الأولى لرحلة الورتلاني المسماة (نزهه الأنظار، في فضل علم التاريخ والأخبار) في تونس سنة 1321هـ، فعلق فيها صالح بن مهنا تعليقا فهم منه الإساءة لبعض الأشراف. لقد أورد الورتلاني فيها حديثا عن الأشراف، حيث قال:" إن الأشراف ثلاثة أقسام: طائعون ومستورون ومتجاهرون، والتعظيم للقسمين الأولين دون الثالث... فهذه الفرقة أي العاصية من الأشراف غير معتبرة عندنا". (دويب، ع، 2013، ص: 14) فعلق الشيخ صالح بن مهنا على ذلك بقوله:" قلت دل كلامه على أن من خالف السنة والشرع غير معتبر، ولو كان مدعيا للصلاح أو الشرف أو العلم. وهذه الفرقة التي أنكر عليها الشيخ من الشرفاء، قد كنت قلت مثل هذه المقالة التي قالها فيها، وهي أن الشريف الفاسق لا يعتبر، فأنكرها بعض الأراذل ممن قرأ مستلتين، وتعلم باب مسح الخفين... وقد صرح

ISSN : 1112-4083

بذلك الشعراني في كتابه المنن، فقال: قال بعض العلماء ولا ينبغي تعظيم الشريف، إذا تعاطى المحرمات". (دويب، ع، 2013، ص: 14)

وقد تعرض الشيخ صالح بن مهنا جراء جهوده الإصلاحية وما أبداه من آراء إلى محن عظيمة، ليس من السلطات الفرنسية فحسب، بل تعرض إلى محن من طرف أبناء بلده، تمثلت في ردود بعض أصحاب الطرق عليه شعرا ونثرا، والسعي لعزله من منصبه وتشويه صورته أمام الناس، فكتب الشيخ عاشور بن محمد بن عبيد الخنقي كتاب (منار الأشراف، على فضل الأشراف، ومواليهم الأطراف)، (الأزهري، أ، 2019، ص: 87) ولعل الشيخ عاشور الخنقي من أشد خصوم الشيخ صالح بن مهنا، وقد أوعز له بالرد على ابن مهنا الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي " الشريف الحسني البوزيدي" حتى لا يقتدي ضعاف العقول بابن مهنا. (سعد الله، أ، 1998، ص: 332).

والمعروف أن الشيخ عاشور الخنقي قد كانت له معارك مع العديد من شيوخ عصره كابن الموهوب والمجاوي وقدور بن أحمد الشريف الزهار وابن سماية. (بيشي، م، ع، 2020 (مج 05 ع01)، ص: 105).

كما رد عليه من الزيبان الشرقي الشيخ محمد البخاري بن الصادق الزراري العقبي، وقد وصف نفسه بأنه الشريف الإدريسي أصلا، الزراري نسبا، المالكي مذهبا، الأشعري عقيدة، التجاني طريقة. لقد كتب جملة من الردود على الشيخ ابن مهنا منها: رسالة في "المناضلة عن أهل البيت فيما تقوّله ابن مهنا"، رسالة" في الرد على من استخف بمحمد وآله صالح ابن مهنا"، رسالة في" الحكم على ابن مهنا القائل بعدم نفع الأبوين للأقارب". (بيشي، م، ع، 2021 (مج 35 ع02)، ص: 530). وقد كتب الشيخ المهدي الوزاني من المغرب كتابه " السيف المسلول باليد اليمنى في الرد على ابن مهنا"، وقد اتبع بتقريظات وتعليقات أهمها تقريظ عبد الرحمن بن زيدان، الممثل للسلطة الزمنية العلوية، وقد طبع بفاس سنة 1906، وكان الشيخ ابن مهنا قد رد عليه بكتابين هما" السيف المهند المسلول لقطع رأس المهدي المغربي الجهول" ويسمى أيضا:" فتح الكريم الوهاب في الرد على مفتي فاس الكذاب"، والفتح الرباني لقطع رأس المهدي المغربي الوزاني"، وهو مختصر من الرسالة الكبرى المسماة" السيف المهند". (بيشي، م، ع، 2020 (مج 05 ع01)، ص: 105).

ISSN : 1112-4083

ومحمد العابد بن سودة والذي رد برسالة عنونها" سنان اليراع وبنادق القرطاس في نحر من جازف وشتم الناس" وقد كتبه سنة 1908م، كما انضم إلى مهاجمة الشيخ الصالح بن مهنا عبد السلام العمراني الذي كتب رسالة بعنوان" الكي بمحاور البغال وقتل العقرب بالنعال في رد ما فاه به بعض الأنذال الذي جهل أنه من أهل الضلال". (الصيد، س، 1983، ص: 117) وهيان بن بيان الذي رد برسالة عنوانها" كشف النقاب في الرد على الوسلاتي الكذاب". (بيشي، م، ع، 2021 (مج 35 ع02)، ص: 530). كما رد عليه أيضا بن محمد بن مصطفى المشرفي الجزائري الأصل، والفاسي دارا ووفاة.

وبعيدا عن مسألة إنكاره على انحراف بعض المتصوفة، فقد كان أزهريا معجبا بأستاذه الإمام الشيخ شمس الدين محمد عليش إلى درجه الانتساب اليه، فيصف نفسه بقوله: "ابن مهنا القسنطيني العليشي"، وقد ألف عنه كتابا مستقلا في مناقب العلامة عليش أسماه " تذكرة من يعيش، في بعض مآثر الشيخ عليش"، كما تأثر أيما تأثر بمسلك القاضي عياض في حاشيته على الرحلة الورثلانية، حيث استشهد برأيه في الإخلال بالعمل والتهاون في الواجبات الذي أصاب قطاعا من الطبقات العلمائية والصوفية، فوصفهم بأنهم " جمعوا بين الإخلال بالعلم والعمل، فالمخّل بالعمل فاسق مغضوب عليه، والمخّل بالعلم جاهل ضال" (بيشي، م، ع، 2019 (مج 03 ع01)، ص: 22).

واستدعى لرأيه أقوال القاضي عياض في قواعده:" وذهب بعض العلماء إلى أن من ترك شيئا من هذه القواعد، وإن اعترف بوجوبه فإنه كافر، يقتل كتارك الصلاة". (القاضي، ع، 1995، ص: 147) لقد كثر المرابطون وأدعياء الشرف في تلك الفترات، وروجت الدعاية العثمانية عن طريق أبي الهدى الصيادي، نقيب الأشراف على مستوى الدولة، لفكرة الشرف وأهميته بالنسبة لسلاطين آل عثمان أنفسهم، وارتبط كل ذلك بفكرة الجامعة الإسلامية. (سعد الله، أ، 1998، ص: 118).

فالآراء الإصلاحية التي جاء بها ابن مهنا، أيقظت العقول من جهة، لكنها جلبت له الكثير من الانتقادات. فعاشور الخنقي عرف بغلوه في مدح الأشراف وطعنه في علم الشيخ ودينه، فقال عنه:" تعليم الجاهل الصريف، وتنبيه الغافل الظريف، وتذكير العريف عصاة الأشراف وموالهم من الأطراف وفي الرد على عدوّهم وهم الأزرق وحاسدهم الأخرق" (بسكر،م، 2015، ص: 287).

كما كان الصالح بن مهنا محاورا ومناقشا متمكنا، لذلك نراه يتحدى غيره في تبيان خطئه. يقول:" كل من كان بقسنطينة عالما أو مدرسا أو قاضيا أو مفتيا أو عادلا أو باش عدل أو خطيبا أو طالبا أو مقدم إخوان فليجاوبني على هذه الرسالة، أو ليعارضها، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا، فدل

عجزهم على أن جميع ما قلته حق، وأن من خالفني هو الجاهل المبطل، قتيل الحسد والبغض". (ابن مهنا، ص، 1904، ص: 40).

وقد استغلت الإدارة الفرنسية ذلك الجدل للإيقاع بين ابن مهنا وخصومه لضرب الأنصار والخصوم معا لفكرة الشرف ومعارضة توسع الخلافة الإسلامية. فكانت القضية الأبرز في المحنة هي أراؤه الصادمة للمجموع، فيما عرف بقضية ارتباط الشرف بالتقوى، وطعنه في الميراث الأدبي الذي يجعل الأشراف فوق المساءلة الشرعية، وكذا في غمزه لأنساب العديد من الأشراف، فلم يغفروا له ذلك، لهذا تعددت الردود من الجزائر وخارجها وخاصة من المغرب الأقصى، لأن صالح بن مهنا كان حامل راية التصحيح، فكانت نقوده عارمة طار شررها فاتصل بالمغرب الأقصى القائمة شرعية مملكته على النسب الشريف. (بيشي، م، ع، 2020 (مج 05 ع01)، ص: 91).

هذا وقد ركز الشيخ " ابن مهنا "على فكرة مفادها تجنب أي دخيل على الدين الإسلامي بعنف، ومهاجمة المعتقدات الخرافية التي كانت تتبناها الزوايا والعلماء الذين كانوا يخدرون أفكار الشعب وعقله باسم الدين، وكان سلاحه في ذلك هو الإيمان بالله لا شريك له وحجته الكتاب والسنة، فاستطاع بهذا أن يدعو الناس للرجوع إليهما، ومهّد الطريق للعلماء المصلحين الذين قاموا بأعمال جليلة تدوّن في التاريخ بعد ذلك. (الصيد، س، 1983، ص: 23).

وقد كان صالح بن مهنا ضد تقديس الأشراف في كلّ أحوالهم وجعل العمل الصالح هو الركيزة الأولى، ولم يكن مع المرابطين على ما هم عليه من استغلال للعامة وتنويمها، لكنّه وقف مع الزهد الذي يؤدّي إلى الإنتاج وخدمة الصالح العام، (سعد الله، أ، 1998، ص: 119) واستمرت الخصومة بالكتابات المباشرة والردود العنيفة من رجال الوظيف الرسمي وغيرهم حتى أن ابن مهنا ألف غوثية " قصيدة استغاثة" لرفع الضيم عنه في هذه المحنة. (بيشي، م، ع، 2021 (مج 35 ع02)، ص: 527).

مقابل هذا التوجه المناهض للفكر الإصلاحي الذي حمل رايته صالح بن مهنا، اتجه الشيخ " محمد بن عبد الرحمان الديسي "الذي اطّلع على أراء " عاشور الخنقي" إلى الرد عليها، لأنه رأى فيها غلوا وتطرفا وذلك برسالة سماها " هدم المنار وكشف العوار" (بن قينة، ع، 1980، ص: 50) والذي يعد من الأعمال الفكرية الجريئة في تلك الفترة، (بن قينة، ع، 1980، ص: 60) وقد دافع فيها عن أراء " ابن مهنا"، وممّا كتبه: "وقد وقفنا على كلام ابن مهنا الذي تحامل عليه هذا التحامل، فما رأينا فيه إلاّ نصح الأشراف وحضهم على الأعمال وتحذيرهم من الإغترار والاتكال، وفي رسالة جمعها من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة الآمرة الناهية وما تنقصهم بشيء ممّا

ISSN : 1112-4083

تقوله عليه هذا المهذار والطاعن المعثار". (بسكر،م، 2015، ص: 288) وقد تعرض هو بدوره إلى نوع من العزلة والقطيعة.

وإذا كانت دائرة النقد التي تعرّض لها الشيخ ابن مهنا قد توسعت في ظل تلك الأوضاع وشارك فيها خصومه من داخل وخارج الوطن، فإن موقفه ظل ثابتا، كما وجد في تلاميذه وموقف بعض سكان قسنطينة دعما معنويا له. لقد تنكر له وتألب عليه خصومه، واستعانوا على محاربته بما يخرج عن المجال الفكري، فأصبحوا يتهددونه في معاشه وحريته وعرضه، إلا أنه ثبت ثبات الصادقين إلى أن لقي الله. (دويب، ع، 2013، ص: 11).

المطلب الثاني: محنة الشيخ صالح بن مهنا مع الاستعمار الفرنسي

تعرض الشيخ صالح بن مهنا لمحنة شديدة أواخر القرن التاسع عشر 1897، (الصيد، س، 1983، ص: 104) وترجع جريدة الأخبار الفرنسية ذلك إلى سنة 1905، (سعد الله، أ، 1998، ص: 118) والحقيقة خلاف ذلك فلا يعقل أن يكون قد رد على طلب السلطات الاستعمارية سنة 1904 قبل تعرضه للمحنة.

لقد اعتقلته السلطات الفرنسية بدعوى الإساءة إليها، وكانت اعتقلت عاشور الخنقي قبل ذلك بدعوى أنه أساء إلى بعض الأعيان ونفته، (بيشي، م، ع، 2020 (مج 05 ع01)، ص: 96).

وزعمت أن ابن مهنا سب المفتين والقضاة وجميع العلماء. (سعد الله، أ، 1998، ص: 119).

لقد تزامن اعتقال الشيخ ابن مهنا وتفتيش منزله مع عزله عن الإمامة ومصادرة مكتبته التي نقلت إلى دار العمالة بقسنطينة فترة من الوقت للاطلاع على أفكاره، (سعد الله، أ، 1998، ص: 331) فاستدعت النائب المستشرق ألبان روزي للبحث عن آراء ابن مهنا في كتبه، إلا أن هذا النائب، الذي عرف بتعاطفه مع الجزائريين، استنكر مصادرة مكتبته، وكذلك المكيدة التي حاكتها ضده، وطلب منها أن ترجع المكتبة لصاحبها.

حاولت السلطات الفرنسية بعد ذلك تبرير فعلتها، وادعت - كما ورد في جريدة الأخبار- أن ابن مهنا قد أوقفته الإدارة عن عمله، لأنه انتقد انتقادا شنيعا الحكومة وكثيرا من فضلاء المسلمين. (سعد الله، أ، 1998، ص: 119) والحقيقة أن الإدارة الفرنسية الاستعمارية سعت للإضرار بالشيخ، واستطاعت أن تحقق بذلك هدفا مهما لها وهو إبعاد الشيخ صالح بن مهنا عن تلاميذه وجمهوره.

وكانت جريدة الأخبار أوردت أن ابن مهنا تراجع عن انتقاده للحكومة وأن موقفه يتعلق بالعقائد (الدين والأشراف) وليس بالسياسة. فلم يسلم شخصه وعلمه ولا كتبه من الأذى. ولا

ISSN : 1112-4083

شك أن تلك الأحداث كانت أسلوب تلاعب من قبل إدارة الشؤون الأهلية بعلماء المسلمين لترويضهم. (سعد الله، أ، 1998، ص: 332)

لقد كان يوم اعتقال الشيخ الصالح بن مهنا يوما مشهودا في قسنطينة، حيث ناصره – خاصة -بعض تلامذته وأعيان زاوية بوحجر، وتجمهر الناس معهم يوم اعتقاله أمام دار العمالة، في محاولة لعرقلة السلطات الفرنسية من اعتقاله، ومنعهم بالقوة من أخذ مكتبته، ولكن الشيخ طلب منهم الهدوء والصبر، (صالحي، م، 2014 (ع22-23)، ص: 381). تجنبا لصدام أنصاره مع السلطات الاستعمارية، فخطب فيهم لصرفهم عن مواجهتها.

وقد كانت السلطات الاستعمارية تهيئ له ملفا لتقديمه إلى العدالة، (الصيد، س، 1983، ص: 102) ولكنها بعد ذلك طلبت منه توضيحات حول القضايا التي أثارها، وخاصة في كتابه الأكثر إثارة للجدل وهو حاشيته على رحلة الورثلاني، فأجاب عنها في رسالة قال عنها:" رسالة لطيفة تسمى إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسوية"، والتي نشرت سنة 1904. (صالحي، م، 2014 (ع22-23)، ص: 381).

أبانت تلك الرسالة على صلابة تكوين الشيخ ابن مهنا وتأثره بالحركات الإصلاحية في المشرق العربي، كما أنه لم يتبع طريق العنف والثورة وإنما اتبع طريق الإقناع بالدليل الشرعي، فتجده يستشهد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال العلماء خاصة من المالكية الذين تتلمذ عليهم كالشيخ عليش، كما يعتمد على تفسير "روح البيان" لإسماعيل حقي، (صالحي، م، 2014 (ع22-23)، ص: 382). والذي لخَّصه مؤلفه من تفاسير العلماء السابقين له.

لقد حمل ابن مهنا على الجهل ممثلا في جهات عديدة، فقد أصبحت الإدارة الفرنسية بعد انقضاء الجيل الاول من العلماء، الذين عاصروا بدايات الاحتلال الفرنسي، وكانوا من خريجي الزوايا والمدارس القرآنية، تعتمد على خريجي معاهدها ومدارسها، والذين – كما يبدو-لم يكن الكثير منهم يلتزم بالأحكام الشرعية. (صالحي، م، 2014 (ع22-23)، ص: 382).

يقول الشيخ ابن مهنا عن العلماء: "من كان عالما وافتى بالحق فتواه صحيحة مقبولة، أما الفاجر والفاسق أو تارك الصلاة فلا يجوز". (ابن مهنا، ص، 1904، ص: 03)

فهو ينتقد تصرفات العدول ويرى بأن السطات الفرنساوية - كثر الله خيرها- لم تجعلهم يفسدون في دين الإسلام وفي الشريعة، بل تحث الموظف عند توليه الحكم أن يتسمك بالحق ويقوم بالقسط. (ابن مهنا، ص، 1904، ص: 04) كما أن الطلبة لا يفهمون المنقول فضلا عن المعقول، يقول:" هذا شيء شاهدته بنفسي ومارسته منذ ثلاثين سنة، فوجدت الكثير من يقرأ منهم عشرين سنة ولا يحسن الوضوء عن غيره. هذا بالنسبة للمنقول أما بالنسبة إلى المعقول،

فإن الواحد منهم لا يعرف معنى اسمه في مدة عمره." ويرجع ذلك إلى ضعف مستوى الذين درس عندهم يقول:" الذين قرأوا على إبليس وتفقهوا على أشعب". (ابن مهنا، ص، 1904، ص: 16)

أما في القضايا السياسية فله مواقف، تحتاج إلى النظر إليها وتقييمها مع مراعاة الظروف المختلفة المحيطة بها، فلئن عارض الشيخ صالح ابن مهنا ثورة المقراني المسلحة، كما عارض غيره بعض الثورات كابن زكري في الوسط ثورة الرحمانيين، والشقراني في الغرب ثورة بوعمامة، (بيشي، م، ع، 2021 (مج 35 ع02)، ص: 522). فالجدير بالذكر أنه بات من الضروري إعادة القراءة المتبصرة التي تراعي جهود العاملين للمشروع الوطني مهما تعددت وسائله. فبعد قمع ثورة المقراني وما ترتب عن ذلك من ردود فعل الجزائريين، فإن ذلك أوحى إلى رجال النخبة أنذلك ومن بينهم بن مهنا، بضرورة تغيير أساليب المقاومة، ذلك أنّ الجزائريين بما كانوا يملكون من أسلحة تقليدية وبتنظيمهم القديم لم يكن بإمكانهم الصمود أمام أسلحة الفرنسيين الحديثة وتدريبهم المنتظم. (بن زنفور، م & عميراوي، أ ، 2021 (ع2)، ص: 263).

ولعل انزعاج السلطات الفرنسية من كتابات الصالح بن مهنا فيما يخص القضايا السياسية، كانت بسبب العرائض التي كانت ترسل من قبل جماعات من العلماء والمثقفين الجزائريين من بينهم :صالح بن مهنا، وحمدان الونيسي، وباشتارزي ونحوهم من العائلات المثقفة، والتي تحتوي على جملة من المطالب في الفترة ما بين 1881 و1895، والتي ركزّت بالدرجة الأولى على القضايا الدينية والإسلامية. فدعت إلى ضرورة إصلاح أمور المساجد وترميم هياكلها وتقديم لها الدعم المادي والمعنوي لها حتى تصبح فاعلة في خدمة المجتمع. (بن زنفور، م & عميراوي، أ ، 2021 (ع2)، ص: 272).

كما أن إثارة الموضوعات المتعلقة بالدولة العثمانية كان له تأثيره على السلطات الفرنسية، فصالح بن مهنا لم يواجه السلطات الاستعمارية مباشرة، لأن المواضيع التي كان يثيرها توجست منها السلطات الفرنسية خوفا، فلم يكن ابن مهنا يسير خبط عشواء بل كان داعية إلى التدرج في الإصلاح، لذلك فقد نوه بتجربة السنوسي في ليبيا. (بيشي، م، ع، 2021 (مج 35 ع02)، ص: 522).

فإثارة النقاش والجدال حول مواضيع لا تريد الإدارة الاستعمارية الاشتغال بها، يجعل من ابن مهنا مثيرا للشغب في نظرها.

لقد كانت نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين فترة تنافس استعماري على أملاك الدولة العثمانية، ومواجهة مشروع السلطان عبد الحميد لجمع شمل المسلمين فيما يسمى بالجامعة الإسلامية. فكان الاستعمار يتخوف من تسرب هذه الحركة إلى مستعمراته. (صالحي، م، 2014 (ع22-23)، ص: 383). لذلك فإن السلطات الفرنسية كانت تنظر إلى التعاطف مع الدولة

ISSN : 1112-4083

العثمانية وتأييدها كمسألة سياسية، فإذا كان عاشور الخنقي خصم ابن مهنا مناصرا للدولة العثمانية من زاوية دينية، فإن ذلك يعد لدى السلطات الفرنسية مسألة سياسية خطيرة مادامت تتعلق بتأييد الدولة العثمانية. لذلك زجت بالشيخ عاشور الخنقي في السجن والنفي وحكم عليه بالإقامة الجبرية لمدة سبعة عشر عاما. (بيشي، م، ع، 2020 (مج 05 ع01)، ص: 96).

وإذا ما كان الصالح بن مهنا معارضا لعاشور الخنقي وللدولة العثمانية، فإن فكره الاصلاحي يشكل هو الآخر خطرا على الفرنسيين، لأنه تناول مسألة الأتراك من باب جور الحكام. ولم ينظر إلى مشكلات الجزائر والأمة الإسلامية نظرة " الأشراف"، فلما طرح القضية في شرح قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: 58] نقل عن اسماعيل حقي من تفسيره " روح البيان" قوله:" إن أمراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين، أما أمراء الجور فمعزل عن استحقاق العطف على الله ورسوله، فإن اللصوص المتغلبة لأخذ اموال الناس بالقهر والغلبة"، واسماعيل حقي يبين ظلمهم وجورهم وهو من علماء الأتراك. (ابن مهنا، ص، 1904، ص: 9) فكلام الصالح بن مهنا عن ظلم وجور الحكام الأتراك في تلك الفترة يعد كبيرة من الكبائر.

كما تطرق لمسألة التعليم ومنها الدعوة لتعليم الجزائريين، وهي عنده وعند غيره من العلماء الجزائريين مسألة ذات أولوية، وهذا ما لم يكن يعجب السلطات الفرنسية التي كانت تفضل بقاء الجزائريين جهلة حتى تسهل السيطرة عليهم. (صالحي، م، 2014 (ع22-23)، ص: 388).

إن أفكار الشيخ ابن مهنا وجهوده الإصلاحية هي التي جلبت له نقمة جهات عديدة، ورغم ذلك فقد اتصف بالصبر والصمود، ولم يتخذ ذلك ذريعة للهجرة وترك الوطن. ففي الوقت الذي هاجر فيه علماء وأعيان إلى الشرق، مثل حمدان لونيسي، واستعدت فيه عائلة ابن باديس للهجرة في فترة سابقة، كما كان ذلك من عائلات غيرها في سطيف وقسنطينة، خاصة وأن السلطات الاستعمارية بدأت التحضير لإصدار قانون التجنيد الإجباري منذ 1906 وأصدرته سنة 1912، (فلاحي، ر، 2007-2008 (ماجستار)، ص: 16).

إلا أن ابن مهنا لم يهاجر، ولم يحاول الهجرة خارج الوطن تهربا من مسؤولياته، فقد بقي به إلى أن توفي في قسنطينة. (سعد الله، أ، 1998، ص: 120)

***-خاتمة:**

عاش ابن مهنا حياة مليئة بالحركة لا تعرف السكون، قضاها في التعلم والتعليم، في وضع صعب من النواحي المختلفة، مواجها الفكر الجامد الذي انتشر في الجزائر من جهة، ومؤامرات المستعمر الذي لا يروق له قيام علماء جزائريين بنشر الوعي في مجتمعهم من جهة أخرى، فكان

الطرفان له بالمرصاد فيما عرف بمحنته. كما أثار الكثير من القضايا وشارك فيما عرفه وقته من مسائل ومشكلات تتعلق بالشعب الجزائري وهويته، وحمل في مرات كثيرة على المشعوذين في كتبه ودروسه، وسجلت له جهود جليلة في تعريف أهل المشرق بالمغرب العربي.

وقد أبانت مواقف الشيخ صالح بن مهنا عن أصالة فكره واستقلالية شخصيته وصموده، فقد استمر في عمله مواجها الاستعمار، والمناوئين له لا سيما في قسنطينة بصفة مباشرة، وتعدى الأمر إلى أشخاص خارج الوطن، كما حدث له مع بعض من اعترضوا عليه من المغرب، ولكن ذلك لم يثنه عن المثابرة وصناعة الوعي، وذلك ما أثمر بعد ذلك بنهضة علمية في جزائر القرن العشرين. وإذا كان هذا المقال سعى للكشف عن جوانب من فكر الشيخ الصالح بن مهنا ومواقفه، فإن له مواقف أخرى ما زالت تحتاج إلى البحث عنها وفيها، للكشف أكثر عن الجوانب المتميزة في هذه الشخصية الألمعية الرائدة، وهذا ما يجعلنا نؤكد حقيقة ثابتة أن للجزائر بالإضافة إلى قوائم شهدائها، قوائم علمائها الذين نحتاج لإبراز أعمالهم عبر حقب التاريخ الوطني.

*****

قائمة المصادروالمراجع:

أولا: الكتب:

- أبو العيون، محمود (1949). ***الجامع الأزهرنبذة في تاريخه***. القاهرة: مطبعة الأزهر.
- الأزهري، أسامة (2019). ***جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشروالخامس عشر الهجريين***. ج3، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية.
- بسكر، محمد (2015). ***الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين، معالمه وأعلامه***. مج 3، الجزائر: دار كردادة للنشر والتوزيع.
- بن قينة، عمر (1980). ***الديسي حياته وآثاره الأدبية***. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- بن مهنا، صالح (1904). ***رسالة لطيفة تسمى إظهار الحق***. الجزائر: مطبعة فونتانا.
- بن مهنا، صالح (2011). ***حاشية على الرحلة الورتلانية***. ج1، 2، ط1، الجزائر: دار المعرفة الدولية.
- بن مهنا، صالح (د. ط). ***شرح متن ابن عاشرفي الفقه***. مخطوط بيد علاوة بن بركات بن باديس الحسني.
- بن نبي، مالك (1986). ***شروط النهضة***. تر: عمر كامل مسقاوي - عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر.
- بوصفصاف، عبد الكريم وآخرون (2002). ***معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين***. ج1 ، قسنطينة: منشو رات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، دار الهدى.
- الحفناوي أبو القاسم محمد (د. س). ***تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني***، ط2، ج2، الجزائر: مطبعة بيير فونتانه.
- خفاجي محمد عبد المنعم & علي علي صبح (2012). ***الأزهرفي ألف عام***. ج 02، ط03. القاهرة: ***المكتبة الأزهرية للتراث***.

- دويب، عبد الرحمن (2013). ***الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي***. ط1، ج1. الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

- الغوثي، محمد بن رمضان شاوش، بن حمدان (2011). ***إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر***. ج 3،4. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.

- الشعراني، عبد الوهاب (2005). ***الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية***. تحقيق وضبط: أحمد عبد الرحيم السايح – توفيق علي وهبة. ط1، ج1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

- الصيد، سليمان (1983). ***صالح بن مهنا القسنطيني (حياته، تراثه). الجزائر:*** دار البعث.

- سعد الله، أبو القاسم (1998). ***تاريخ الجزائر الثقافي، (1830 - 1954)***. مج 1- مج 8، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- لدرع، كمال (2015). ***الشيخ المولود بن الموهوب-مفتي قسنطينة -(حياته وأثاره)***.الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

- نويهض، عادل (1980). معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. ط2، ج 02. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

ثانيا: الرسائل والمذكرات الجامعية:

- رابح فلاحي (2007-2008). ***جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر(1908- 1954)***. مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، (تاريخ الحركة الوطنية المغاربية)، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار.

ثالثا: المقالات

- بيشي، محمد عبد الحليم (2019). ***مكانة القاضي عياض وكتابه الشفا عند الجزائريين***. مج 03/ ع 01. غرادية: مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، جامعة غرداية، قسم العلوم الإسلامية.

- بيشي، محمد عبد الحليم (2020). **الشيخ عاشور الخنقي آثاره ومعاركه الفكرية**. مج 05/ ع 01. الأغواط: مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط.

- بيشي، محمد عبد الحليم (2021). ***الإمام محمد الصالح بن مهنا آثاره العلمية وآراؤه الإصلاحية***، مج 35/ ع 02. حوليات جامعة الجزائر.

- مراد بن زفور & أحميدة عميراوي (2021). ***الشيخ بن مهنا: حياته ومواقفه الإصلاحية، 1840- 1910***. مجلة البحوث التاريخية، المجلد 05، عدد02. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة.

- منى صالحي، الشيخ صالح بن مهنا وكتابه "رسالة لطيفة تسمى إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسوية"، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، العدد 22-23، جويلية – ديسمبر 2014.

- ناتش، عبد الرحمان (2022). ***الرحلة الورثيلانية، طبعة فونتانا 1908 م.، دراسة تحليلية ونقدية***، مج 13/ ع23، الجزائر: مجلة الدراسات الإسلامية، المجلس الإسلامي الأعلى.